الباب الثالث

من وصايا الصحابة والتابعين بالحلم

الفصلُ الأوَّل : من وصايا وأقوالِ الصَّحابةِ في الحلم .

الفصلُ الثَّاني : الحلمُ في حياةِ التَّابعين ووصايا العلماء .

الفصلُ الأوَّلُ

مِنْ وَصايَا وأقْوالِ الصَّحابَةِ في الحِلْمِ

* أبو الدَّرداءِ عُوَيْمِرُ بنُ زيدٍ الأنصاري الخزرجي[1] أحدُ الصَّحابةِ الكرام الذين اشتهروا بالعلم والحلم والحكمة ، قال النّووي ـ رحمه الله ـ : كان أبو الدَّرداء فقيهاً حكيماً زاهداً . . . ولي قضاء دمشق في خلافة عثمان . . . وكانت له امرأة اسمها هُجيمة ، وكانت فقيهة حكيمة[2] .

* وقد أُثِرَتْ عن أبي الدَّرداء ـ رضوان الله عليه ـ وصايا

---

(١) اقرأ سيرته مفصَّلةً في كتابنا وموسوعتنا « علماء الصحابة » تجد خيراً بإذن الله .

(٢) انظر : تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/ ٥١٢) ، رقم الترجمة (٧٨٠) باختصار .

وأقوال في الحلم ، ومنها قوله : ليسَ الخيرُ أن يكثرَ مالك وولدك ، ولكنّ الخيرَ أن يعظم حلمك ، ويكثر علمك ، وأن تنادي النّاسَ في عبادةِ اللهِ ، فإذا أحسنتَ حمدتَ الله ، وإذا أسأتَ استغفرتَ الله .

* وذكرَ ابنُ عبد ربّه حلم أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، ودفعه السيِّئة بالتي هي أحسن ، فقال : قال رجلٌ لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه : واللهِ لأسُبنَّكَ سَبًّا يدخلُ القبرَ معك ، قال : معكَ يدخلُ لا معي[1] .

* وعُرِفَ عمرو بن العاص ـ رضوان الله عليه ـ بالحلم وسَعَةِ الصَّدر ، وسرعة البديهة ؛ فقد قال له رجل : واللهِ لأتفرَّغَنَّ لكَ . قال عمرو : هنالك وقعتَ في الشُّغل .

قال : كأنَّكَ تُهدِّدني ، والله لئن قلتَ لي كلمةً لأقولنَّ لك عشراً .

---

(١) العقد الفريد (٢/ ٢٧٥) ، والمستطرف (١/ ١٩٤) .

قال عمرو : وأنتَ والله لئن قلتَ لي عشراً لم أقل لكَ واحدة[1] .

* وكان أبو ذرّ رضي الله عنه يتحلَّمُ ، فقد شتمَهُ رجلٌ فقال له أبو ذرّ : يا هذا ، لا تُغْرِقْ في شتمنا ، ودَعْ للصُّلح موضعاً ، فإنّا لا نكافيء مَنْ عصى الله فينا بأكثرَ من أنْ نُطيعَ اللهَ فيه[2] .

* ومن ذلك أنَّه رضي الله عنه ، قال لغلامه : لِمَ أرسلتَ الشَّاةَ على علفِ الفرس ؟

قال : أردتُ أن أغيظَكَ .

قال أبو ذرّ : لأجمعَنَّ أجراً ، أنتَ حُرٌّ لوجه الله[3] .

* وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يوصي بالابتعاد عن السَّفَه ، وعمّا يؤذي من الكلام فيقول : إذا سمعتَ الكلمة تؤذيك ، فطأطىء لها حتى تتخطّاك .

---

(١) العقد الفريد (٢/ ٢٧٥) .
(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٧٦) .
(٣) المستطرف (١/ ١٩٣) .

* وقال أيضاً : تعلَّموا العلم ، وتعلَّموا للعلم السكينة والحلم .

* وقال : لا حلم أحبّ إلى الله من حِلْمِ إمامٍ ورفقته ، ولا جهل أبغض إلى الله من جَهْلِ إمامٍ وحدّته .

* وقال أيضاً : من اتَّقى الله لم يشفِ غيظه .

* ويُحكى عن حلمه رضي الله عنه ، أنّه أُحْضِرَ بين يديه رجلٌ سكران ، فأمرَ أن يُمَدَّ ، فشتمه السَّكرانُ ، فرجع عمر عنه ، فقيل له : لم تركته يا أمير المؤمنين لمّا شتمك ؟ قال : لأنّه لمّا شتمني غضبتُ ، فلو ضربتُه لكان ذلك لغضبي لنفسي لا لربّي[1] .

* وقال عليّ رضي الله عنه : ليس الخير أن يكثرَ مالكَ وولدكَ ، ولكنَّ الخيرَ أن يكثرَ علمُكَ ، ويعظُمَ حلمُكَ .

* وقال : إن لم تكن حليماً فتحلَّم ، فإنّه قَلَّ مَنْ تشبَّه بقومٍ إلا أوشكَ أن يكون منهم .

---

(١) المستطرف (١/ ١٩٤) بتصرف يسير .

* والحلمُ في رأي عليّ رضي الله عنه سجيَّةٌ يتحمَّلها الحليم ، حيث يحتاج إلى عوض ، ودائماً يوصي بالحلم ، راجياً أن يتخلَّقَ الإنسانُ بأخلاقِ الحُلماء فيصير منهم ، لأنَّ العادةَ طبيعةٌ ثانية ، ولذلك يقول : أولى النّاس بالعفو ، أقدرهم على العقوبة .

* وقال : إذا قدرتَ على عدوِّكَ ، فاجعلِ العفوَ عنه شكراً للقدرة عليه .

* وأوردَ القلقشندي خطبةً للحُسين بن عليّ رضي الله عنهما ، يقولُ فيها : اعلموا أنَّ الحلمَ زينٌ ، والوقارَ مودَّةٌ ، والصِّلَةَ نِعمةٌ ، والإكثارَ صلفٌ ، والعجلةَ سَفَهٌ ، والسَّفهَ ضعفٌ ، والقلقَ ورطةٌ ، ومجالسةَ أهلِ الدَّناءةِ شَيْنٌ ، ومخالطةَ الفسوقِ ريبةٌ[1] .

* ويُحكى أنَّ رجلاً سَبَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما ،

---

(١) صبح الأعشى (١/ ٢١٥) .

فلمّا فرغَ قال : يا عِكْرِمَةُ ، هل للرَّجُلِ حاجةٌ فنقضيها ؟ فنكَسَ الرَّجلُ رأسَهُ واستحى .

* وقال النَّابغةُ الجعدي :

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لم يكنْ له بوادرُ تحمي صفوَهُ أن يُكَدَّرا

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ له حليمٌ إذا ما أوردَ الأمر صَدّرا

ولمّا أنشدَ هذَيْن البيتَيْن للنَّبيّ ﷺ قال : « لا يفضُضِ اللهُ فاكَ » ، قال : فعاشَ مئة وثلاثين سنة ، لم تَنْغَضْ له ثنيَّة[1] .

* وكان معاوية رضي الله عنه وأرضاه ، يُعرَفُ بالحلم ، وله فيه أخبارٌ مشهورةٌ ، وآثارٌ مذكورةٌ ، وكان يقول : إنّي لأستحي من ربِّي أن يكونَ ذنبٌ أعظمَ من عفوي ، أو جهلٌ أكبرَ من حلمي ، أو عورةٌ لا أواريها بستري[2] .

* وقال أيضاً : لا يبلغُ الرَّجلُ مبلغَ الرَّأي حتى يغلبَ

---

(١) العقد الفريد (٢/ ٢٨٠) ، و « تنغض » : تضطرب وتتحرك .
(٢) العقد الفريد (٢/ ٢٧٨) .

حلمُه جَهلَهُ ، وصبرُه شهوتَه ، ولا يبلغُ ذلك إلا بقوَّةِ الحلم .

* وقال : عليكم بالحلم والاحتمال ، فإذا أمكنتكم الفرصة فعليكم بالصَّفحِ والإفضال .

* وكان معاوية رضي الله عنه ، يعلمُ أنَّ الحلمَ لا يأتي إلا بخير ، فكان يوصي قومَه قائلاً : يا بني أُميَّة ، قارعوا قريشاً بالحلم ، فوالله إن كنتُ لألقى الرَّجلَ من الجاهليَّةِ يوسعني شتماً ، وأوسعه حلماً ، فأرجعُ وهو لي صديق أستنجدُه فيُنجدني ، وأثيرهُ فيثور معي ، وما دُفِعَ الحلمُ عن شريفٍ إلا شرَّفَهُ ، ولا زادَه إلا كرماً .

* ومن روائع وصايا معاوية رضي الله عنه ، إلى ابنه يزيد قوله له : عليكَ بالحلم والاحتمال حتى تمكِّنكَ الفرصة ، فإذا أمكنتك فعليك بالصَّفح ، فإنَّه يدفعُ عنكَ معضلاتِ الأمورِ ، ويقيكَ مصارعَ المحذور .

* وقال : ما وجدتُ لذَّةً هي عندي ألذّ من غيظٍ أتجرَّعُه ، وسَفَهٍ بحِلْمٍ أدفعُه .

* وقال أيضاً : أفضلُ ما أُعطيَ الرَّجلُ الحلمُ[1] .

* وممّا حُفِظَ عن عبد الله بن مسعود في الحلم قوله :

انظروا إلى حلم الرَّجلِ عند غضبه ، وأمانته عند طمعه ، وما عِلْمُكَ بحلمه إذا لم يغضب ، وما علمُكَ بأمانتِهِ إذا لم يطمَعْ .

* هذا وآثارُ الصَّحابةِ الكِرامِ رضوان الله عليهم كثيرةٌ في التَّخلُّقِ بالحلم ، والتَّمثُّلِ به في جميع الأوقات والأحوال ، وقد تلقّوا هذه الدُّروس العظيمة في الحلم من الحبيب الأعظم ﷺ ، فكانوا سادة القادة ، وقادة السَّادة ، ونجوماً زواهر في سماء الأعلام فرضي الله عنهم وأرضاهم .

* * *

(١) انظر : نهاية الأرب (٦/ ٥٠) .

الفصلُ الثَّاني

الحِلْمُ في حَياةِ التَّابعينَ وَوَصايَا العُلَماء

* أجمعَ عددٌ من كبارِ التَّابعين ، وأكابرِ العُلماءِ على أنَّ أفضلَ الأعمال : الحلمُ عند الغضب ، والصَّبرُ عند الجزع .

* وقد أُثِرَتْ عن التَّابعيّ الجَليل الحسنِ البصري ـ رحمه الله ـ أقوالٌ مأثورةٌ ، وحِكَمٌ منثورةٌ في هذا المجال ، فممّا أورده الغزالي ـ رحمه الله ـ من أقواله في « الإحياء » ، قوله : من علامات المسلم : قوَّةٌ في دين ، وحزمٌ في لين ، وإيمانٌ في يقين ، وعلمٌ في حلم ، وكيسٌ في رفق ، وإعطاءٌ في حق ، وقصدٌ في غنى ، وتحمُّلٌ في فاقة ، وإحسانٌ في قدرة ، وتجمُّلٌ في رقاقة ، وصبرٌ في شدّة ، لا يغلبه الغضب ، ولا تجمعُ به الحمية ، ولا تغلبُه شهوة ،

ولا تفضحهُ بطنة ، ولا يستخِفُّه حرصه ، ولا تقصِّر به نيَّتُه ، فينصرُ المظلوم ، ويرحمُ الضعيف ، ولا يبخلُ ولا يُبذِّر ، ولا يُسرفُ ولا يُقتِّر ، يعفو إذا ظُلِمَ عن الجاهل ، والجاهلُ نفسه منه في عناء ، والنّاسُ منه في رخاء[1] .

* وممّا حُفِظَ عنه قولُه : إذا كان يومُ القيامة نادى منادٍ : مَنْ كان له على الله أجرٌ فليَقُمْ ، فلا يقومُ إلا العافون عنِ النّاس[2] .

* وكان الحسنُ البصري ـ رحمه الله ـ يرى أنَّ الحلمَ خيرُ رداءٍ يرتديه المرءُ ، بل هو أفضلُ من بُردِ الحَبرة[3] ، وفي هذا يقول : إنَّ أفضلَ رداءٍ تردّى به الإنسان الحلم ، وهو والله عليكَ أحسنُ من بُرْدِ الحَبِرة .

* وقال : المؤمنُ حليمٌ لا يجهلُ ، وإن جُهِلَ عليه ، وتلا

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين (٣/ ١٦٦) .
(٢) المستطرف (١/ ١٨٧) .
(٣) « الحبرة » : ثوبٌ يمانيٌّ من قطنٍ أو كتَّانٍ مخطَّط ، يقال : بُرْدٌ حَبِرة على الوصف ، وبردُ حَبِرة على الإضافة .

قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾

[الفرقان : ٦٣] .

* وقال أيضاً : اطلبوا العلمَ وزيِّنوه بالوَقارِ والحِلْم .

* وكان الشَّعبيُّ ـ رحمه الله ، وهو تابعيٌّ جليلُ القَدْر ـ مشهوراً بالحلم ، معروفاً بهذه الخصلة بين النّاس ، حتّى عُدَّ من أسيادِ الحُلماء ، فقد شتمَه رجلٌ ، فقال له الشَّعبي : إن كنتَ صادقاً فغفرَ اللهُ لي ، وإن كنتَ كاذباً فغفرَ اللهُ لكَ[1] .

ولذلك فقد كان رحمه الله كثيراً ما يُنشدُ ويتمثَّلُ قول القائل :

ليستِ الأحلامُ في حالِ الرِّضا إنّما الأحلامُ في حالِ الغَضَبِ

* وللأحنفِ بن قيس ـ رحمه الله ـ وقفاتٌ رائعاتٌ مع الحلم ، فقد كان هو نفسُه من أشهرِ حُلماءِ عَصْرِ التَّابعين ، وله أقباسٌ جميلةٌ في هذا المعنى ، وكان لشدَّةِ ذكائه وحلمه

---

(١) العقد الفريد (٢/ ٢٧٦) .

يبتعدُ عن مواطنِ السَّفَه ، وساقط الكلام ، فكان يقول : حلمُكَ على السَّفيه يُكثرُ أنصارك عليه . ويقول : مَنْ لم يصبِرْ على كلمةٍ سمعَ كلمات .

* وكان ـ رحمه الله ـ يرى أنّ احتمالَ بعضِ الكلماتِ ، وتجرُّعَ بعض الغيظ من الحلم ، لئلاّ ينزلقَ إلى ما هو أشدّ وأنكى ، ولذلك كان يُكثرُ من قوله : رُبَّ غيظٍ تجرَّعتُه مخافةَ ما هو أشدَّ منه ، وأنشدَ :

رضيتُ ببعضِ الذُّلِّ خوفَ جميعهِ
كذلك بعضُ الشَّرِّ أهونُ من بعضِ[1]

* ولمّا سُئِلَ الأحنفُ عن الحلمِ أجابَ : قولٌ إن لم يكن فعل ، وصمتٌ إن ضرَّ قول .

* وكان يرى أنَّ للحلمِ آفةً فيقول : آفةُ الحلمِ الذُّلُّ .

* أمّا كيف يُعرَفُ الحليمُ ، فلا بُدَّ في رأيه من سفيه ، وفي هذا المعنى قال : لا حِلْمَ لمَنْ لا سفيه له .

---

(١) العقد الفريد (٢/ ٢٧٩) .

* وقال أيضاً : ما قَلَّ سُفهاءُ قومٍ إلا ذُلُّوا ، وأنشدَ :

لابُـدَّ للسُّـؤددِ مـن رِمـاحِ ومن رجالٍ مُصلتي السِّلاحِ
يُـدافعـونَ دونَـه بـالـرَّاحِ ومـن سفيـهٍ دائـمِ النّبـاحِ[1]

* وكان يرى أنَّ الحلمَ أكبرُ معينٍ وناصر ، ويقول : وجدتُ الحلمَ أنصَرَ لي من الرِّجال . وكان يقول : ما نازعني أحدٌ قطُّ إلا أخذتُ أمري بإحدى ثلاث :

إن كان فوقي عرفتُ قَدْرَه ، وإن كان دوني أكرمتُ نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضَّلتُ عليه .

* وأخذَ بعضُ الشُّعراء هذا المعنى فنظمه قائلاً :

إذا كـان دونـي مَـنْ بُليـتُ بجهلِـهِ
أبيـتُ لنفسـي أن تُقـارعَ بـالجَهْـلِ
وإن كـان مثلـي ثـمَّ جـاءَ بـزلَّـةٍ
هويتُ لصفحي أن يُضافَ إلى العَدلِ

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٨٠) .

وإن كنتُ أدنى منه قَدْراً ومَنْصباً
عرفتُ له حقَّ التَّقدُّمِ والفَضْلِ[1]

* ولمحمد بن علي بن أبي طالب ـ رحمه الله ـ أقوالٌ رائعةٌ في الحلم ، حيثُ يرى أنَّ الحلمَ وقايةٌ من كلِّ شرٍّ ، وهو رأسُ مكارمِ الأخلاق ، فقال : مَنْ حَلُمَ وقى عِرضه ، ومَنْ جادَتْ كفُّه حَسُنَ ثناؤه ، ومَنْ أصلَحَ ماله استغنى ، ومن احتملَ المكروه كَثُرَتْ محاسِنُه ، ومَنْ صبرَ حُمِدَ أمرُه ، ومَنْ كظمَ غيظَهُ فشا إحسانُه ، ومَنْ عفا عنِ الذُّنوبِ كَثُرَتْ أياديه ، ومَنْ اتَّقى اللهَ كفاهُ ما أهمَّه[2] . ولله درُّ من قال :

وكن مَعْدِناً للحلمِ واصفَحْ عنِ الأذى ... فإنَّكَ راءٍ ما عملتَ وسامعُ
وأحِبِبْ إذا أحببتَ حُبًّا مقارباً ... فإنَّكَ لا تدري متى أنتَ نازعُ
وأبغِضْ إذا أبغضتَ غيرَ مُباينٍ ... فإنَّكَ لا تدري متى أنتَ راجِعُ

* * *

(١) العقد الفريد (٢/ ٢٨٣) .
(٢) العقد الفريد (٢/ ٢٨٤) .